

484- الحذاء الطائر، والبصقة العالمية، ومسئولية الفرحة !!!

تعتة

لا أستطيع أن أخفي فرحة مشاركة بهذا الحذاء الطائر، فرحة خالطتها فوراً غصة رافضة لهذه الفرحة، ثم لحق هذا وذاك تأمل حرج مؤلم. صدق أو لا تصدق أنني لم أشاهد هذا المنظر على شاشات التلفزيون حتى الآن، ولعل عزوف ذلك كان مقصوداً من داخلي، حتى لا أجزُرُ إلى مشاركة في فرحة مشبوهة لست راضياً عنها، صحيح أنني طلبت من البعض أن يرسل لي اللقطة إلكترونيا لأشاهدها متأنياً بطريقتي التي شاهدت بها أوباما راقصاً مع المذيعة الأمريكية وهي تصحبه إلى كرسي في لقاء تليفزيوني، وأنني التقطت من تلك اللقطة الراقصة لهذا النوبي الأمريكي الرشيق أكثر مما وصلني من كل تصريحاته، وكان يمكن أن ألتقط من وجه بوش أكثر من تعبيرات فردتني الحذاء وهما تتلاحقان باصقة عليه، هكذا سمحت خيالي أن يصور المنظر، وسوف أكتفي بالتعليق الموجز على بعض لقطات من صفح اليوم الذي أكتب فيه هذه اليومية: الجمعة 19 الجاري،

الرصين الرزين فهمي هويدى بدأ مقاله اليوم (وهو تكملة لمقال أمس) هكذا: "أصعب ما قرأت في التقارير الصحفية التي تابعت حدث قذف الرئيس بوش بالحذاء، أن جهات التحقيق شغلت بالبحث عن حالته النفسية والعقلية، .. إلخ. شاركته رفضه تماماً، فكم نبهت إلى الإهانات والجهل والغباء وسوء الاستعمال التي تُتناول بها ما يشاع من معلومات متعلقة بتخصصي، من أول حادث بنى مزار حتى مقتل نادين وهبة. بالله عليكم: أيهما أحق بفحص قواه العقلية؟ القاذف أم المقذوف؟ بل إنني أرفض ابتداء تيرير القتل والإبادة، أو حتى الخروج عن العرف والتقاليد، بلصق أسماء أو سمات أمراض مرضى عليها، فأنا أحترم مرضى وأعلم أنهم أرق وأنبل من قسوة هذا المقذوف المسخ البشع، قاتل الملايين من الأبرياء في ديارهم، وهو يزعم أنه يعلمهم ألف باء الكرامة والحرية، هذا الشاب الغاضب تمص كل ناس الأرض في لحظة فارقة، فاض به فأرسل بصقة في صورة حذاء على هذا المتبلد الذي أضحك العالم بغياؤه القاتل ثمان سنوات ضحكاً أكثر إيلاماً من كل بكاء، ثم ها هو لا يجدل أن يعتذر - وهو يغادرننا- بنفس

الغباء، وكأنه نادل يعتذر لزبون لسع لسانه بحساء ساخن، ومع أنني فهمت غضب هويدى القاسى، إلا أنني توقفت عند قوله: "...ولا أخفى شعورا بالقرف والرثاء إزاء الذين انتقدوا ما جرى....." ثم حدّد ذلك: "... في العالمين العربي والإسلامى... إلخ"، الرثاء جائز، أما القرف يا أستاذ فهمى فهو غير جائز، ثم إن الفرحة لم تكن قاصرة على العالم العربى والإسلامى، أنا لم أميز -مثلا- فرحة إسلامية أو عربية في الصورة المنشورة بالوفد اليوم عن: "...مظاهرة بالشموع أمام القنصلية الأمريكية في لاهور..". الصورة تنصدها فتاتان جميلتان، تحملان صورة الزيدى بيد، وشموع جميلة أيضا بالأخرى، توقفت عند مغزى الشموع، ووجهى وعيون الفتاتين الجميلتين، وتصورت أن هذا المنظر الرقيق هو ترجمة لموقف عالمى أمل وراء الفرحة بمعنى هذا الخداء الطائر، إنه تعبير عن الرفض الساخر لكل القتلة السفلة الأغبياء، جنبا إلى جنب مع التلويح بأمل واعد (الشموع) لإنارة الوعى البشرى كله من خلال هذه الرسائل، العالم كله يعلن احتقاره لهذه السنوات الدموية التى قادها هذا الغي المتبدل، لكنه يضىء الشموع تحملها هذه الوجوه الجميلة، تعبير وصلنى أبلغ ألف مرة من صورة "الوقفة بالأحذية للتضامن مع الصحفى العراقى أمام نقابة الصحفيين عندنا".

أختم هذا التعليق المؤقت مضطرا، بذكرى صورتين حداثيتين دالتين: الأولى للرئيس خروشوف في الستينات وهو يلوح بجذائه ثم يضعه أمامه في اجتماع رسمى للأمم المتحدة، والثانية لعجوز مصرى جميل كان بجوارى حاجا في المزدلفة، حين خلع حذاءه بعد الانتهاء من قذف الجمرات، وراح يقذف إبليس، وهو يصيح غاضبا "خذ يا بن ال...". (كلمة لا تكتب) - (طردت من خيلتى قباقيب شجرة الدر، وحذاء أبو تحسين على تمثال صدام)

رجعت إلى فرحتى المكتومة بمحادث الخداء الرمز، باعتباره البصقة الغاضبة العالمية، فتأكدت أنها ليست "ابتكارا عراقيا" كما قال أسامة عكاشة في "وفد" هذا الصباح، بل هى تعبير عن احتقار عالمى (وليس فقط عربيا أو إسلاميا)، يعلن موقف الناس - كل الناس- من هذا المسخ الغي القاتل، ثم فهمت رفضى فرحتى وفرحة الناس أنه خوفا من أن تكون هذه الفرحة هى تفريغ عاجز، لا أكثر.

لا أحد يستطيع أن يكتم فرحته بهذا الرمز، ولكن لا يصح أبدا أن نفرح بفرحتنا إذا لم تدفعنا فورا لنعمل ما يترجم هذه البصقة إلى فعل قادر على التغيير عندنا وعبر العالم.